المتون والشروح والحواشي والتقريرات في التأليف النحوي

د. عبد الله بن عويقل السلمي *

التعريف بالبحث:

يتناول هذا البحث ظاهرة المتون والشروح والحواشي والأسباب التي أدت إلى بروزها . وقد بدأ البحث بلمحة موجزة عن عصري المماليك والعثمانيين ، لأنهما أبرز عصرين اشتهرا بهذه الظاهرة التأليفية . ثم تناول البحث تعريفاً بمفردات العنوان (المتن . والشرح . والحاشية . والتقرير) بعد ذلك تطرق البحث إلى تاريخ المتون . متى ظهرت ؟ وما أنواع المتن ؟ ثم أشهر المتون المنظومة وأشهر علمائها . وبعد ذلك عرض لأشهر المتون النحوية المنثورة وأبرز علمائها .

ثم جاء العنصر الأهم بالموضوع وهو ذكر الأسباب التي أدت إلى هذه الظاهرة في الدرس النحوي والدوافع التي دفعت العلماء إلى الاختصار فيما يسمى بالمتون مما اضطرهم بدوره إلى الشروح التي استدعت ظهور الحواشي .

وقد ناقش البحث بدقة العيوب التي أخذت على هذه الظاهرة مناقشة موضوعية بعيدة عن الحماس . ودافع الباحث عن هذه الظاهرة وبين أنها تشكل جزءاً كبيراً من تراثنا الخالد الذي لا يستغني عنه الدارس مهما علا كعبه في العلوم والمعارف .

* أستاذ مساعد في قسم النحو والصرف وفقه اللغة بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية بالرياض . ولد بمكة المكرمة سنة (١٩٦٣ م) . ونال درجة الدكتوراه من قسم النحو والصرف وفقه اللغة بكلية اللغة العربية في جامعة الإمام بمرتبة الشرف الأولى سنة (١٩٩٦ م) . وله عدد من المؤلفات والبحوث والمقالات .

تقديم

كانت كتب النحويين المتقدمين تُؤلَّف لتتضمَّن ما اهتدوا إليه من حقائق نحويّة ، وحرص أصحابها على استيفاء البحث في كل مسألة بذكر جميع ما يتصل بها ، ولو كان ذلك على سبيل الاستطراد أو لأدنى ملابسة ، حتى اكتمل وضع علم النحو ، ونضجت أبحاثه وتمت مسائله . وحينما جاء من يريد أن يضيف جديداً لم يجد زيادة لمستزيد ، اللهم إلا شرح كتب من سبقوه ، وتوضيح ما عسى أن يكون فيها مما يصعب فهمه ، وإضافة ما ظهر من خلاف طارىء بين النحاة ، وما عرضوه من علل وتأويلات وشواهد ، فازدادت التآليف اتساعاً ، وتشعبت الأبواب النحوية ، وكثرت المسائل الخلافيّة ، وتنوعت العلل والتأويلات العقلية .

وقد دفع هذا كله إلى ظهور فريق ثالث سعى إلى اختصار الأبواب وتقريب المسائل من أذهان المتعلمين ، فألّف المتون المنظومة التي برزت في القرن السابع الهجري ، حتى باتت تشكّل ظاهرة متميّزة في منظومة التأليف النحوي أدّت إلى ظهور شروح لها أكثر اتساعاً ، ثم بروز حواشٍ وتقريرات على هذه الشروح أوجبتها ظروف التوضيح والتبيين .

وقد رأيت أن أدرس هذه الظاهرة باحثاً عن بدايتها التاريخية وأسباب ظهورها ، مبيناً أشهر علمائها وقيمتها العلميّة ، مبتدئاً بعرض مفصّل عن عصري المماليك والعثمانيين ، لبروز هذه الظاهرة التأليفية المزدهرة فيهما ، مستعرضاً المآخذ عليها ، ثمّ مناقشاً ما قيل عن هذا النمط التأليفي سلباً وإيجاباً ، والله الموفق .

نبذة تاريخية موجزة عن عصري المماليك والعثمانيين :

لعلّ من المناسب أن أتحدث ابتداءً عن عصر المماليك وعصر العثمانيين أو عصورهم من الوجهة التاريخية قبل أن أخوض في الحديث عن ظاهرة المتون والشروح والحواشي والتقريرات في النحو والصرف خاصة ، وفي سائر العلوم على وجه العموم .

فبعد احتلال بغداد أصبحت المكتبات العربيّة فيها خاوية بسبب مصيبة (هولاكو) ،

وبعد النكسات التي سببها زوال سلطان العرب عن الأندلس ، أصبح القُطران – مصر والشام – الملجأ الوحيد للعلماء من جميع الأقطار الإسلامية ، وترسّخت قيمة هذا الملجأ بعد انتصار قطز وبيبرس في عين جالوت وبعد دحر المغول .

وكانت « شجرة الدر » قد وضعت قبيل هذا أساس سلطنة المماليك ، وهي من جواري الملك الصالح نجم الدين أيوب ، اشتراها أيام أبيه ، وحين ولدت له ابناً أعتقها وتزوجها ، وكانت قويّة الشخصيّة ، تدير الملك عند غيابه ، ولمّا مات مقتولاً سنة (٦٤٧ هـ) أخفت أمر موته ؛ لأنّ المعارك مع الإفرنج كانت ناشبة ، وقد حكمت ثمانين يوماً ، ثمّ تنازلت بعدها لوزيرها وزوجها الثاني عز الدين أيبك ، وبذلك بدأ الحكم المملوكي في سنة (٦٤٨ هـ)[(١)].

وينقسم المماليك إلى قسمين : مماليك بحريّة حكموا من سنة (٦٤٨ هـ) إلى سنة (٧٨٤ هـ) ، وأصل هؤلاء من الحرس الذين اشتراهم الصالح الأيوبي وأسكنهم في ثكنات بجزيرة الروضة في النيل ، وكان أكثرهم من الترك والمغول .

أمّا القسم الثاني فهم المماليك البرجيّة ، وهؤلاء جيء بهم إلى مصر بعد المماليك البحريّة ، وكانوا في أول أمرهم حرساً خاصّاً للسلطان قلاوون ، وكان معظمهم أرقاء شراكسة ، وسمّوا بالبرجيّة لأنهم كانوا يقيمون في أبراج القلعة بالقاهرة . وقد حكم هؤلاء مصر من سنة (٧٨٤ هـ) إلى سنة (٩٢٣ هـ) .

وقد أفلح المماليك عامة في تطهير مصر وبلاد الشام من بقايا الغزو الأوروبي ، وصدّوا جيوش المغول التي قادها هولاكو وتيمورلنك ، وبذلك مهّدت دولتهم للبلاد سبيل التنعم بثقافةمتصلة وأنظمة سياسية مستقرّة مستمرّة ، وقد سيطروا نحو (٢٧٠ سنة) ، إلى أن جاء السلطان سليم العثماني سنة (٩٣٢ هـ) ، فغلبهم على أمرهم .

وبذلك سقطت آخر الدويلات المحليّة التي نشأت على أنقاض الخلافة العربية الإسلامية ،

---

(١) انظر حسن المحاضرة للسيوطي ٢ / ٣٩ .

وتمهّد السبيل لقيام خلافة إسلاميّة جديدة غير عربيّة ، هي خلافة الأتراك العثمانيين الذين احتلوا بلاد الشام ومصر ، والتي بدأت بعد موت السلطان المملوكي قانصوه الغوري في حلب بعد أن دخلها العثمانيون الذين تابعوا مسيرهم حتى مصر ، وهناك التقى الجيشان العثماني والمملوكي خارج القاهرة سنة (٩٢٣ هـ) ، وكان النصر حليف العثمانيين ، وألقي القبض على آخر ملك مملوكي ، وهو « طومان باي » ، وشنق ، وتحطمت دولة المماليك ، وظهرت الدولة العثمانية التي كبرت واتسعت ، ثم ضعفت وانحسرت حتى انفرط عقدها في سنة (١٣٤١ هـ) . ويعد عصر المماليك عصر الازدهار الكامل للدراسات النحوية خاصة واللغوية عامة في مصر والشام ، فقد امتلأت البلدان بالنحاة القادمين من بغداد بعد احتلالها على يد التتار سنة (٦٥٦ هـ) ، ومن الأندلس بعد احتلال الفرنجة آخر حواضرها – غرناطة – سنة (٨٩٧ هـ) ، مما جعل المصنفات النحويّة في عصرهم تبلغ الذروة كمّاً وكيفاً ، فظهرت الموسوعات ، كما ظهرت المتون والشروح والحواشي ، وكان الملوك والسلاطين من المماليك خير أعوان للعلماء الذين لجئوا إلى مصر وهم يحملون ما بقي من الثروة العلمية العربية ، ويحفظون البقيّة الباقية من تراث الإسلام في العراق والأندلس . وبهذا أصبحت القاهرة في عهد المماليك « موئل الحضارة الإسلامية وبغية القاصدين ، وموطن الدرس والبحث ، وصارت مدارسها تزخر بالطلاب والعلماء والمعلمين ، ونشط التأليف فيها في اللغة والأدب والتاريخ والدين وعلوم القرآن . أما عهد الأتراك العثمانيين ، فقد كاد مصباح الثقافة ينطفىء فيه ، وشمل الأقطار التي كانت تحت حكمهم – ومنها مصر والشام – فتور عقلي وهبوط علمي ، إلا بصيص من أمل وشعاع من علم كان ما يزال ينير قلوب طائفة من العلماء وعقولهم ، وبقية من هذا التراث العربي الواسع ، ومن ذلك المجد العظيم ، ومن هذه البقيّة الباقية كانت البذور التي نبتت منها النهضة الحديثة في مصر والشام وسائر الأقطار » [١] .

على أنه من الحق أن نقول إن الدراسات النحويّة في عصر العثمانيين قد طرأ عليها عهد جديد تميّز النشاط فيه بالحواشي والتقريرات ، والمختصرات التي يشكل جلّها فائدة طيّبة ،

(١) انظر الوسيط في تاريخ النحو لعبد الكريم الأسعد ص ١٧٩ .

وإن كان بعضها يظهر فيه التأثر بالبيئات الأعجمية ، ويخلو من الإضافة والتجديد ، ويقتصر على الجمع والإعادة والترديد .

وسنحاول في الصفحات الآتية الكشف عن الدوافع والأسباب والظروف التي أدّت إلى تميّز عصر المماليك بالظاهرة التأليفية المعتمدة على سلسلة المتون والشروح والحواشي والتقريرات ؛ فضلاً عن عرض شامل لأهم مؤلفات هذه السلسلة ولأشهر مؤلفيها .

المقصود بالمتن والشرح والحاشية والتقرير :

المتن : مصطلح يطلق عند أهل العلم على مبادئ فن من الفنون جمعت في رسائل صغيرة خالية من الاستطراد والتفصيل والشواهد والأمثلة إلا في حدود الضرورة .

والشرح : عمل يُتوخى فيه توضيح ما غمض من المتون وتفصيل ما أجمل منها ، وهو يترواح بين الطول والقصر والسهولة والعسر ، وفيه الوجيز والوسيط والبسيط .

والحاشية : إيضاحات مطوّلة دعت إليها ظاهرة انتشار المتون والشروح ، وقد قصد منها حلّ ما يستغلق من الشرح ، وتيسير ما يصعب فيه ، واستدراك ما يفوته ، والتنبيه على الخطأ ، والإضافة النافعة ، وزيادة الأمثلة والشواهد .

أمّا التقرير فهو بمثابة هوامش كان يسجلها العلماء والمصنفون على أطراف نسخهم ممّا يعنّ لهم من الخواطر والأفكار على نقطة معيّنة أو نقاط متعددة ، وذلك أثناء قيامهم بالتدريس من الشروح والحواشي .

ظهور المتون والشروح والحواشي والتقريرات :

لعله من البدهي القول بأنّ المتون سابقة للشروح والحواشي والتقريرات ، فهذه كلها آثار للمتون وعمل عليها ، وإذا أردنا أن نضع تاريخاً لبداية المتون ، لا بدّ أن ننبّه على أنها نوعان : متن منظوم ، ومتن منثور . وكل واحد منهما يشترك في طبيعته مع الآخر في الميل إلى الاختصار ، والخلو من كلّ ما يؤدي إلى الاستطراد والتفصيل ، وقلّة ذكر المذاهب والخلافات ، كما يندر فيهما وجود الشواهد والأمثلة التي لا تذكر عادة إلا في حدود الضرورة كما سبق أن ذكرنا .

(أ) المتن المنظوم :

ظهر المتن المنظوم عند العرب في القرن الثاني الهجري ، ولكنّ العرب لم يكونوا أول من اخترعه ، بل كانت له أصول عند اليونان ، نرى ذلك عند « هوميروس » في ملحمته التاريخية « الإلياذة » .

وقد بدأ ظهوره عند العرب حين اتسعت معارفهم ، وتنوعت لديهم الثقافات ، وزاد إقبالهم على التعلم ، وقد أحسُّوا حينذاك بحاجتهم إلى نوع خاص من التصنيف يعينهم على حفظ المعلومات ونقلها ، فاستعانوا على ذلك بالشعر الذي امتلكوا ناصيته ؛ لأنّه يشكّل وسيلة مشوّقة ، ويسهل على المتعلمين حفظه . يقول أحد الباحثين : « لعل آخر الاتجاهات الجديدة التي نتناولها بالدراسة ، والتي لاحظنا نشأتها في شعر القرن الثاني ، هو الفن التعليمي الذي يصطنعه الشعراء عادة لنظم أنواع شتّى من العلوم والمعارف تسهيلاً لحفظها . ومما لا شكّ فيه أنّ نشأة هذا الفن إنما تقترن باتساع أنواع المعارف والعلوم ، وازدياد الإقبال على التعليم والتعلّم في القرن الثاني ، وما كان ممكناً أن ينشأ في الشعر العربي فن تعليمي قبل هذا القرن لهذا السبب نفسه » (١) .

ويؤكد باحث آخر أنّ الأرجوزة الأمويّة تعدّ أول شعر تعليمي ظهر في اللغة العربية ، وأنّ أراجيز العجاج وابنه رؤبة تعد شعراً تعليمياً ؛ لأنها متون لغويّة منظومة في اللغة نفسها من حيث هي لغة ، نظماها لتمدّ الرواة بالألفاظ الغريبة والأساليب الشاذّة والنادرة ، وتزودهم بالشواهد والأمثال المأثورة والألفاظ المستعملة والمهملة (٢) .

ثمّ تتابعت المنظومات العلمية عبر العصور حتى جاء عصر المماليك الذي كثر فيه هذا اللون من النظم ، واتسعت موضوعاته ، فشمل كلّ العلوم ومنها النحو ، وأقبل الناظمون على النظم لييسروا على الطلاب سبل الإلمام بالمعارف وحفظها وسرعة استحضارها وقت الحاجة ، فجاءت على سبيل المثال منظومتا ابن مالك الطويلتان « الكافية الشافية »

---

(١) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري لمحمد مصطفى هدارة ص ٣٥٤ .

(٢) انظر التطور والتجديد في الشعر الأموي لشوقي ضيف ص ٢٨٠ – ٢٨٢ .

و « الخلاصة الألفية » ، ومنظومة الشاطبي الجامعة في القراءات .

وهنا يعنّ لنا تساؤل في ضوء ما هو معروف من أنّ عصر المماليك يعدّ العصر الذهبي في نظم العلوم المتعددة ، وفي كثرة هذا النظم وتنوعه ، وهو : متى ظهر أول متن منظوم في النحو ؟ .

وللإجابة على هذا التساؤل نقول : تعزى أقدم منظومة في النحو للخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة (١٧٠ هـ) ، قال خلف الأحمر المتوفى سنة (١٨٠ هـ) : « وحروف النسق خمسة وتسمى حروف العطف . وقد ذكرها الخليل بن أحمد في قصيدته في النحو :

فانسق وصل بالواو قولك كلّه ... وبلا وثُمّ وأو فليست تصعُبُ
الفاء ناسقة كذلك عندنا ... وسبيلها رحب المذاهب مُشْعَبُ »[١]

ومهما يكن من شك في نسبة هذه القصيدة للخليل – وهو ما تطرق له المحقق [٢]– ، وبصرف النظر عن سمعة خلف بن الأحمر وأمانته العلمية ، وبغض النظر عما لوحظ على الأبيات من ضعف يُشَكّ معه في صدورها من الخليل ، نقول بصرف النظر عن كلّ ذلك فإنّ هذه المنظومة ما زالت تعدّ أول منظومة في النحو في ذلك الوقت المبكر .

ثُم تتابعت بعدها المتون المنظومة ، فنظم أحمد بن منصور اليشكري المتوفى سنة (٣٧٠ هـ) أرجوزة في النحو ، عدد أبياتها ثلاثة آلاف إلا تسعين ، تناول فيها – فيما تناول – الخلاف في وزن « غزاة » و « رماة » و « قضاة » ونحوها ، وهل هي على « فُعَلة » أو « فَعَلَة » أو « فُعَّل » ؟ ، وقد قال في مطلعها :

والوزن في الغزاة والرماة ... في الأصل عند جملة الرواة
فُعَلَة ليس لها نظير ... في سالم من شأنه الظهور
وآخرون فيه قالوا فَعَلَة ... كما تقول في الصحيح جملة [٣]

---

(١) مقدمة في النحو لخلف الأحمر ص ٨٥ ، ٨٦ .

(٢) انظر المصدر السابق (هامش ٨٦) .

(٣) انظر الأشباه والنظائر للسيوطي ١ / ١٢١ .

ثمّ صنّف الحريري المتوفى سنة (٥١٦ هـ) أرجوزته النحويّة « ملحة الإعراب وسنحة الآداب » في ثلاثمائة وخمسة وسبعين بيتاً [١] ، منها :

أقول من بعد افتتاح القول ... بحمد ذي الطول شديد الحول
يا سائلي عن الكلام المنتظم ... حدّاً ونوعاً وإلى كم ينقسم
اسمع هديت الرشد ما أقول ... وافهمه فهم من له معقول
حد الكلام ما أفاد المستمع ... نحو : سعى زيد وعمرو متّبع [٢]

ومع أنّ ملحة الإعراب لم تنل حظًّا كبيراً عند الدارسين المعاصرين مثل ألفية ابن مالك ، فإنّ لها شروحاً كثيرة ، منها : شرح الحريري نفسه ، وشرح لابن مالك المتوفى سنة (٦٧٢ هـ) ، وشرح محمد المقدسي الحنبلي المتوفى سنة (٧٥٩ هـ) ، وشرح الهواري الأندلسي الضرير المتوفى سنة (٧٨٠ هـ) ، وشرح الشهاب الرملي المتوفى سنة (٨٤٢ هـ) ، وشرح السيوطي المتوفى سنة (٩١١ هـ) ، وشروح أخرى لغيرهم [٣] .

وبعد الحريري نظم الحسين بن أحمد بن خَيْرَان البغدادي المتوفى سنة (٦٠٠ هـ) [٤] متناً في النحو . ثمّ تتابعت المتون النحوية المنظومة حتى وصلت ذروتها في القرن السابع الهجري أثناء عصر المماليك ، واتسعت رقعتها وكثر الناظمون لها ، وكان من أبرزهم ابن معطٍ وابن الحاجب وابن مالك . ومن هذه المنظومات منظومة لنجم الدين الخضراوي المتوفى سنة (٦٦٣ هـ) نظم فيها مفصل الزمخشري [٥] . وأرجوزة لشهاب الدين أبي شامة المصري المتوفى سنة (٦٦٥ هـ) نظم فيها أيضاً مفصل الزمخشري [٦] . ومنظومة لشهاب الدين الخولي المتوفى سنة (٦٩٣ هـ) نظم فيها توضيح ابن هشام الأنصاري [٧] . وأرجوزة

---

(١) انظر كشف الظنون لحاجي خليفة ٢/١٨١٧ .
(٢) انظر شرح الملحة للحريري ص ٣ .
(٣) انظر كشف الظنون ١/١٨١٧ .
(٤) انظر بغية الوعاة ١/٥٣١ .
(٥) انظر كشف الظنون ٢/١٧٧٦ .
(٦) انظر المصدر السابق ٢/١٧٧٦ .
(٧) المصدر السابق ١/١٥٥ .

لأبي حيّان الأندلسي المتوفى (٧٤٥ هـ) ، لم يتمها وسمّاها « نهاية الإغراب في علمي التصريف والإعراب » [١] . ومنظومة في تسعمائة بيت لعلاء الدين طيبرس المتوفى سنة (٧٤٩ هـ) وقد جمع فيها بين ألفية ابن مالك ومنظومة ابن الحاجب وسمّاها « الطرفة » [٢] . ومنظومة ابن الوردي المتوفى سنة (٧٤٩ هـ) في مائة وخمسين بيتاً واسمها « التحفة الوردية » [٣] . وأرجوزة في حكم « لو » لتقي الدين السبكي المتوفى سنة (٧٥٦ هـ) [٤] . وأرجوزة في المقصور والممدود لشمس الدين الهوّاري المتوفى سنة (٧٨٠ هـ) [٥] . ومنظومة لتقي الدين عبد الرحمن بن أحمد الواسطي البغدادي المتوفى سنة (٧٨١ هـ) لمتن « غاية الإحسان في علم اللسان » لأبي حيان الأندلسي [٦] . ومنظومة « الحلاوة السكريّة » لشعبان بن محمد المصري الآثاري المتوفى سنة (٨٢٨ هـ) [٧] . وألفية له أيضاً سمّاها « كفاية الغلام في إعراب الكلام » [٨] . وأرجوزة لشهاب الدين بن عربشاه الدمشقي المتوفى سنة (٨٥٤ هـ) [٩] . وألفية في النحو لعبد العزيز اللمطي المكناسي المتوفى سنة (٨٨٠ هـ) [١٠] . وألفية في النحو والتصريف والخط لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة (٩١١ هـ) [١١] .

إنّ هذا الثبت الذي تضمن أهم المنظومات في عصر المماليك يدلّ على نجاح هذه المنظومات ورواجها ، وأنها أصبحت مناط الاهتمام تصنيفاً وتعليماً آنذاك ، وقد تصاعد هذا

---

(١) انظر المصدر السابق ٢ / ١٩٨٦ .

(٢) انظر المصدر السابق ٢ / ١١١١ .

(٣) انظر المصدر السابق ١ / ٣٧٦ .

(٤) انظر طبقات الشافعية للسبكي ٦ / ١٤٦ .

(٥) انظر الدرر الكامنة لابن حجر ٣ / ٣٣٩ .

(٦) انظر الشذرات لابن العماد ٦ / ٥٧١ .

(٧) انظر إيضاح المكنون للبغدادي ١ / ٤١٥ .

(٨) انظر كشف الظنون ٢ / ١٤٩٧ .

(٩) انظر الضوء اللامع للسخاوي ٢ / ١٢٦ ، الشذرات لابن العماد ٧ / ٢٨٠ .

(١٠) جذوة الاقتباس لابن القاضي ١ / ١٩٣ .

(١١) انظر كشف الظنون ١ / ١٥٧ .

النجاح في عصر العثمانيين من حيث الكم ، ولكن المنظومات العثمانية لم تلق الرواج الذي لاقته المنظومات في عصر المماليك ، ومع ذلك فقد كان فيها الجيّد المفيد والطريف المبتكر ، مما كان وما زال محل اهتمام الدارسين آنذاك وحتى اليوم . ومن أشهر المتون النحويَّة المنظومة في عصر العثمانيين :

١ – أرجوزة لعصام الدين بن عربشاه الإسفراييني المتوفى سنة (٩٥١ هـ) باسم « الألغاز النحويّة » [١] .

٢ – منظومة لشرف الدين العمريطي ، فرغ منها سنة (٩٧٦ هـ) ، وسمّاها « الدرة البهيّة في نظم الأجرومية » [٢] .

٣ – منظومة إبراهيم الكرمياني المشهور بشريفي المتوفى سنة (١٠١٦ هـ) سمّاها « الفرائد الجميلة » وهي نظم لشافية ابن الحاجب [٣] .

٤ – أرجوزة لعمر الفارسكوري المتوفى سنة (١٠١٨ هـ) سمّاها « جوامع الإعراب وهوامع الآداب » وهي نظم لجمع الجوامع وشرحه همع الهوامع لجلال الدين السيوطي [٤] .

٥ – ألفية في النحو لعلي بن محمد الأجهوري المالكي المتوفى سنة (١٠٦٦هـ) [٥] .

٦ – منظومة نحويّة لحسن العطار المتوفى سنة (١٢٥٠ هـ) [٦] .

٧ – منظومة في الإخبار بالظرف لمحمد الخضري الدمياطي المتوفى سنة (١٢٨٧ هـ) [٧] .

٨ – منظومتان لناصف اليازجي المتوفى سنة (١٢٨٨ هـ) ، الأولى اسمها « الخزانة » في علم الصرف ، والثانية سمَّاها « جوف الفرا » في علم النحو [٨] .

---

(١) انظر كشف الظنون ١ / ١٥٧ .

(٢) انظر المصدر السابق ١ / ١٥٨ .

(٣) انظر المصدر السابق ٢ / ١٠٢١

(٤) انظر خلاصة الأثر للمحبي ٣ / ٢٢١ .

(٥) انظر المصدر السابق ٣ / ١٥٧ .

(٦) انظر تاريخ الأدب العربي لجرجي زيدان ٤ / ٢٥٧ .

(٧) انظر الأعلام للزركلي ٧ / ١٠١ .

(٨) انظر المصدر السابق ٧ / ٣٥٠ .

ومن المنظومات النحوية التي ظهرت في أواخر العصر العثماني : أرجوزة لأحمد بن عبد الرحيم الطهطاوي المتوفى سنة (١٣٠٢ هـ) . واسمها « نظم المقصود » نظم فيها « المقصود » في الصرف المنسوب لأبي حنيفة . ومنظومة « الدرة اليتيمة في علم النحو » لسعيد بن سعد بن نبهان الحضرمي المتوفى سنة (١٣٢٢ هـ) . والنظم المشهور بـ « الجامع بين التسهيل والخلاصة المانع من الحشو والخصاصة » المعروف بـ « ألفية ابن بون » للمختار بن بون الشنقيطي المتوفى سنة (١٣٠٠ هـ) .

ويجدر بنا بعد هذا السرد لأسماء المتون النحويّة المنظومة ولأسماء ناظميها أن نذكر أهم خصائص هذه المتون ، فهي موجزة العبارة ، تتصف بالاختصار الشديد ، ويطغى فيها التلميح على التصريح ، ويأتي فيها الإيجاز والرمز استجابة لما تقتضيه الأوزان الشعريّة من تقديم أو تأخير أو حذف .

وقد اختار أكثر الناظمين لها الرجز لأنه أوفى بحور الشعر نغماً ، وأكثرها مطاوعة في تفاعيله للحذف والزحافات والعلل ، واختاروا المزدوج من الرجز لطول المنظومات العلمية التي لا يمكن الالتزام بقافية واحدة فيها ، مما اضطرهم إلى مزاوجة القافية في شطري كلّ بيت .

ولقد رأى بعض النقاد أنّ هذه المتون خالية من القيمة الفنية ، ووصفها أحدهم بأنها « مجرد متون علمية منظومة ، وليست في الحقيقة أشعاراً تصاغ ، ويعبّر بها أصحابها عن حاجاتهم الوجدانية أو العقلية » (١) ، ووصفها آخر بقوله : « إنّ الشعر التعليمي قد أصبح في العصور المتأخرة النوع الوحيد الذي لا يحمل من الشعر إلا اسمه » (٢) .

(ب) المتن المنثور :

صيغت المتون نثراً أيضاً كما صيغت نظماً ، وقد اشتهرت هذه المتون النثريّة في تاريخ العلوم عامة ، وفي تاريخ النحو خاصة ، وهي متون اعتمدها الدارسون جيلاً بعد جيل يشرحونها ويعلّمونها ، وما زالت حتى اليوم عمدة في بابها ومرجعاً لأصحاب كلّ فن ، وهي

(١) انظر التطور والتجديد في الشعر الأموي لشوقي ضيف ص ٢٨٢ .

(٢) انظر اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري لمحمد مصطفى هدارة ص ٣٦٧ .

حتى الآن مجال للباحثين يخوضون فيها بالتفسير والتعليق والشرح والإيضاح والتحقيق .

وعندما نحاول أن نضع تاريخاً للبداية الفعلية التي ظهر فيها أول متن نحويّ منثور مختصر ، نجد أنّها كانت في القرن الثاني الهجري أيضاً ، ولعل أول من كتب مقدّمة أو متناً منثوراً هو خلف بن حيان الأحمر البصري المتوفى سنة (١٨٠ هـ) ، حين ألّف كتابه الوجيز « مقدمة في النحو » . وبهذا تكون البداية للمتن المنظوم والمنثور واحدة تقريباً ، إذ لم يفصل الخليل بن أحمد الذي ينسب إليه أوَّل متن منظوم عن خلف الأحمر هذا إلا عشر سنوات .

ويتجلّى كون كتاب « الأحمر » متناً منثوراً مختصراً من قوله : « ولمّا رأيت النحويين وأصحاب العربية أجمعين قد استعملوا التطويل وكثرة العلل ، وأغفلوا ما يحتاج إليه المتعلم المتبلغ في النحو المختصر . . . والمأخذ الذي يخفى على المبتدئ حفظه ، ويحيط به فهمه . فأمعنت النظر والفكر في كتاب أؤلّفه وأجمع فيه الأصول والأدوات والعوامل على أصول المبتدئين ؛ ليستغني به المتعلم عن التطويل ، فعملت هذه الأوراق ، فمن قرأها وحفظها وناظر عليها ، علم أصول النحو كله » [(١)] .

ثمّ ألّف أبو عمر صالح بن إسحاق الجرمي المتوفى سنة (٢٢٥ هـ) مختصراً في النحو سمّاه « المقدمة » [(٢)] ، وسمّاه بعضهم « مختصر نحو المتعلمين » [(٣)] . ثم ألّف أبو علي أحمد بن جعفر الدينوري المتوفى سنة (٢٨٩ هـ) مختصراً سمّاه « المهذب » جرَّده من الاختلافات واكتفى فيه بمذهب البصريين [(٤)] .

ثمّ ألّف أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان المتوفى سنة (٢٩٩ هـ) متناً نحويًّا اسمه « الموفقي في النحو » [(٥)] . ثمّ ألّف أبو جعفر النحاس المتوفى سنة (٣٣٨ هـ) كتابه

---

(١) انظر كشف الظنون لحاجي خليفة ٢ / ١٦٣٠ .

(٢) انظر المصدر السابق ٢ / ١٩١٤ .

(٣) انظر المصدر السابق ٢ / ١٦٣٠ .

(٤) انظر المصدر السابق ٢ / ١٩١٤ .

(٥) انظر المصدر السابق ٢ / ١٩١٤ ، وقد نشر في مجلة المورد البغدادية .

« التفاحة » ، وهو متن صغير الحجم كبير الفائدة (١) .

كما كتب أبو الحسن أحمد بن فارس المتوفى سنة (٣٩٥ هـ) مقدمة في النحو (٢) . ثمّ جاءت مقدمة ابن بابشاذ أبي الحسن طاهر بن أحمد النحوي المتوفى سنة (٤٦٩ هـ) (٣) ، ثمّ مقدمة أبي الحسن علي بن فضال المجاشعي المتوفى سنة (٤٧٩ هـ) (٤) . ثمّ المقدمة الجزوليّة التي تسمى بالقانون لأبي موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي المتوفى سنة (٦٠٧هـ) (٥) . بعدها ألّف أبو الفتح المطرزي المتوفى سنة (٦١٠هـ) متناً نحويًّا وأسماه أيضاً « المقدمة » (٦) .

واستمرّ التأليف في المتون النحويّة المنثورة المختصرة في عصر المماليك وازدهر وكثر ، كما كثر شرّاح هذه المتون وحفّاظها والمقبلون عليها . ومن أشهر ما ألّف في عصرهم من المتون النحوية : « الكافية » لابن الحاجب المتوفى سنة (٦٤٦ هـ) ، و « المقدمة الأجروميّة » في النحو لأبي عبد الله محمد بن داود الصنهاجي المعروف بـ « ابن آجروم » المتوفى سنة (٧٢٣ هـ) . وقد شاعت هذه المقدمة وذاعت ، وأقبل عليها المعلِّمون والمتعلِّمون ، الأولون يشرحون والآخرون يحفظون . ثمَّ تلتها « المقدمة الأزهريّة » للشيخ خالد الأزهري المتوفى سنة (٩٠٥ هـ) ، وهي لا تقل في محتواها وقيمتها عن المقدمة الأجروميّة ، لكنها لم تحظ بما حظيت به المقدمة الأجروميّة من الشهرة والانتشار .

ويمكن أن يندرج تحت اسم المتون كلّ كتاب قديم اختصره مؤلفه وأخلاه من الخلاف وكثرة التعليلات ، ومن ذلك كتاب « الجمل في النحو » لأبي القاسم الزجاجي المتوفى سنة

---

(١) انظر إنباه الرواة للقفطي ١ /١٣٦ ، والكتاب يقع في ثمان ورقات مخطوطة ، ومنه نسخة في المكتبة المتوكلية بصنعاء ، وقد طبع .

(٢) انظر كشف الظنون لحاجي خليفة ٢ /١٨٠٤ .

(٣) انظر إنباه الرواة للقفطي ٢ /٩٥ .

(٤) انظر المصدر السابق ٢ /٣٠٠ .

(٥) انظر كشف الظنون لحاجي خليفة ٢ /١٨٠٠ . وهذه المقدمات الثلاث مطبوعة .

(٦) انظر المصدر السابق ٢ /١٨٠٤ .

(٣٣٩ هـ) ، إلا أنه يؤخذ عليه إكثاره من الأمثلة ، وهذا أمر غير مألوف في المتون بآخرة . ومن ذلك أيضاً كتاب « الجمل في النحو » لابن خالويه حسين بن أحمد المتوفى سنة (٣٧٠ هـ) ، وكتاب « الجمل في النحو » لعبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة (٤٧١ هـ) [١] .

طبيعة المتون والشروح :

أجمع الباحثون على القول بأنّ للمتون طبيعة لا تفارقها وهي الاختصار ، مع أنني أرى أنّ الحقيقة تخالف ذلك أحياناً ، فالمتون كما تكون مختصرة ، قد تكون عندي من أمهات الكتب ، يؤيد هذا ما نراه من الشروح الكثيرة والتعليقات العديدة على هذه الأمهات ، وهي في الوقت نفسه دليل على أهميتها وعظم منزلتها ، فكتاب سيبويه – مثلاً – يُعدُّ من هذه الناحية متناً نحويّاً ، صحيح أنّه كبير في حجمه الموسوعيّ في مسائله وأبوابه وأمثلته ، لكنّ إقبال العلماء والمتعلمين عليه عبر التاريخ ، وكثرة شروحه وتتابعها يسوّغ عندي تسميته متناً .

يقول الشيخ محمد عرفة : « لم يخدم كتاب في العربية مثلما خدم « الكتاب » لسيبويه ، ولم يوضع على كتاب من الشروح والحواشي وتفسير الشواهد مثل ما وضع على الكتاب » [٢] . و « مقتضب المبرد » و « أصول ابن السراج » كذلك ، وهلّم جرًّا . فهذه كلّها يمكن أن تُعدّ أيضاً متوناً لأنها ضبطت أصول العلم بدقّة وإحكام من جهة ، ولكثرة الشروح عليها من جهة أخرى ، أمّا الشروح فقد وضعت بقصد استيفاء كلّ مسألة من جميع النواحي ، وذكر كلّ ما يتصل بها ولو كان على سبيل الاستطراد أو لأدنى ملابسة ، فحوت من أجل ذلك القواعد والقوانين النحويّة والعلل والتأويلات والعوامل والشواهد وإعرابها وتوجيهها ، واللهجات وما يتصل منها بالنحو ، وبحثت أحياناً في أصول بعض الكلمات ، وقد دعا إلى هذه الشروح العجز عن الإتيان بعلم جديد في مصنف جديد ، مما جعل المصنّفين يتجهون إلى شرح متون المتقدمين ، وتجلية ما عسى أن يكون فيها مما يتعاصى على

---

(١) وكتابا الزجاجي والجرجاني مطبوعان .

(٢) انظر النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة لمحمد أحمد عرفة ص ٥١ .

الفهم . يقول محمد كامل حسين : « إنّ العلوم إذا تمّ تكوينها ، ووضعت قواعدها ، تمر على العلماء فترة بعد ذلك طويلة أو قصيرة لشرح هذه القواعد أو نقدها ، ويكثرون من التأليف حول هذه القواعد ، دون أن يحاولوا وضع قواعد جديدة » [١] .

بعض الظواهر التي صاحبت بعض المتون والشروح في العصور المتأخرة :

من الظواهر التي صاحبت بعض متون المتأخرين وشروحهم :

١ – ظهور نوع خاص من المتون النحويّة يبحث في موضوع واحد أو مسألة واحدة بإيجاز ، مثال ذلك كتاب « الشذا في أحكام كذا » لأبي حيّان الأندلسي [٢] المتوفى سنة (٧٤٥ هـ) ، وكتاب « أحكام كلّ وما تدلّ عليه » لتقي الدين السبكي المتوفى سنة (٧٥٦ هـ) [٣] .

٢ – تصنيف بعض الكتب على شكل أسئلة في النحو وإجابات عنها ، مثال ذلك كتاب « الأجوبة المرضيّة عن الأسئلة النحويّة » للراعي الأندلسي المتوفى سنة (٨٥٣ هـ) [٤] .

٣ – قيام بعض المؤلفين من أصحاب المتون بشرح متونهم ، بالإضافة إلى ما يقوم به غيرهم من ذلك ، ومن هؤلاء ابن هشام الأنصاري في شرحيه على متنيه « قطر الندى » و « شذور الذهب » . وخالد الأزهري في شرحه لمقدمته « الأزهريّة » .

طبيعة الحواشي والتقريرات :

دعت الضرورة إلى تصنيف الحواشي والتقريرات بعد تصنيف المتون ، وتصنيف الشروح عليها وعلى الكتب السابقة . وقد بدأت ظاهرة الحواشي والتقريرات في أواخر عصر المماليك ، وانتشرت في عصر العثمانيين ، وأصبحت طابَعاً شاملاً لتدريس العلوم ، ومنهجاً سائداً من مناهج التأليف فيها ، لذلك يعدّ علماء عصر المماليك أول من وصل المتون والشروح بالحواشي والتقريرات ، فوصلوا بهذا بين السابق واللاحق ، ثمّ تبعهم على ذلك علماء العصر العثماني .

---

(١) في أدب مصر الفاطميّة لمحمد كامل حسين ص ٩٣ ، ٩٤ .

(٢) انظر انظر كشف الظنون لحاجي خليفة ٢ /١٠٢٨ .

(٣) انظر المصدر السابق ١ / ٢١ .

(٤) انظر إيضاح المكنون لإسماعيل باشا البغدادي ١ / ٢٨ .

من هنا يمكن القول بأنّ المتون والشروح كانت ظاهرة مميزة لعصر المماليك ، أظهرت الحياة العلمية فيه ، وحققت بالتأكيد كثيراً من النفع المتوخى منها .

أمّا الحواشي والتقريرات التي بدأت في أواخر عصر المماليك ، وعمّت في العصر العثماني حتى أضحت ظاهرة راسخة فيه ، فقد حققت أيضاً مثل هذا النفع . وقد تعمق رسوخها في القرن العاشر حين ظهرت في صورة منهج تأليفي ذائع ؛ ذلك أنّ الحواشي كانت إيضاحاً – كما ذكرنا سابقاً – لبعض عبارات الشروح ومسائلها ، تجلّي ما في عباراتها من غموض ، أو تكمل ما فيها من نقص في الحقائق والشروط التي لم يستوفها الشرح .

أمّا التقريرات فهي تعليقات على الحواشي لإبداء الملاحظات عليها ، ومنشأ الحواشي والتقريرات – في نظري – هو نظام التعليم الذي كان سائداً ؛ إذ كان أساسه تدريس كتاب أو إقراءه ، فكان المدرس يعالج المباحث التي يتضمنها المتن والشرح ، فإذا صادف مسألة غامضة أو قصوراً أو نقصاً كتب على حاشية الكتاب ما يسدّ ذلك أو يسدّده ، ثمّ يأتي من ينشر الكتاب ، فيطبعه كاملاً مع المتن والشرح ، وهكذا كان أحد العلماء إذا تصدّى لتدريس المجموعة المؤلفة من متن وشرح وحاشية ، أضاف إليها ما يعن له من تقريرات .

ولو حاولنا أن نضع بداية زمنيّة محددة واضحة للحواشي النحويّة والصرفيّة ، نجد أنّ القرن الثامن كان هو البداية لهذا النمط التأليفي ، ويعدّ محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الصائغ المتوفى سنة (٧٧٦ هـ) من أوائل المحشين على المؤلفات النحويّة في حاشيته على مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري (١) . ثمّ تتابع المحشون بعده ، فكان لمحمد بن أبي بكر بن عبد العزيز بن جماعة المتوفى سنة (٨١٩ هـ) حواشٍ كثيرة منها : حاشية على شرح التوضيح ، وحاشية على مغني اللبيب ، وأخرى على ألفية ابن مالك ، ورابعة على شرح الشافية للجاربردي (٢) . ثمّ جاء أحمد بن تقي الدين المعروف بالشمني المتوفى سنة (٨٧٢ هـ) وله حاشية مشهورة على المغني اسمها « المنصف من الكلام على مغني ابن هشام » (٣) . ثمّ

(١) انظر كشف الظنون ٢/١٧٥٣ .

(٢) انظر بغية الوعاة ١/٦٣ ، شذرات الذهب ٧/١٤٠ .

(٣) انظر بغية الوعاة ١/٣٧٥ ، شذرات الذهب ٧/٣١٤ . وهذه الحاشية مطبوعة .

جاء جلال الدين السيوطي المتوفى سنة (٩١١ هـ) ، ومن حواشيه « السيف الصقيل في حواشي ابن عقيل » [١] ، وحاشية على شرح الشذور لابن هشام [٢] . وبعد هؤلاء جاء شهاب الدين أحمد بن قاسم العبادي المتوفى سنة (٩٩٤ هـ) وله حاشية في النحو على شرح ابن الناظم لألفية والده ، وهو ممن اشتهر أيضاً بكثرة حواشيه في الفقه وأصوله والمعاني والبيان [٣] . ثمّ جاء الشنواني إسماعيل بن شهاب الدين الشافعي المتوفى سنة (١٠١٩ هـ) ، وهو نحوي تونسي الأصل مصري المولد والدار ، ويعدّ من أشهر أصحاب الحواشي في العصر العثماني ، ولعلي لا أتجاوز الحقيقة إذا قلت : إنّه يعدّ أحد المعالم الرئيسة بين مؤلفي الحواشي في العصور المتأخرة ، فقد كثرت حواشيه عامّة وفي النحو على وجه الخصوص ، ومن أشهر حواشيه النحويّة : حاشية على شرح قطر الندى لابن هشام [٤] ، وحاشية على شذور الذهب لابن هشام [٥] ، وحاشية على التوضيح لابن هشام [٦] ، وحاشية على شرح الفاكهي لمتن القطر المسمى « مجيب الندا إلى شرح قطر الندى » [٧] ، وحاشية على الشرح المسمّى « موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب » لخالد الأزهري وهو شرح لكتاب « الإعراب عن قواعد الإعراب » لابن هشام ، وقد سمّى الشنواني حاشيته هذه « هداية أولي الألباب إلى موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب » [٨] ، وحاشية على شرح المقدمة الأزهرية في علم العربية لخالد الأزهري [٩] ، وحاشية على الأجرومية سمّاها « الدرة الشنوانيّة على شرح الأجروميّة في علم العربيّة » [١٠] .

---

(١) انظر الكواكب السائرة ١ /٢٢٦ ، البدر الطالع ١ /٣٢٨ .

(٢) انظر المصدرين السابقين .

(٣) انظر كشف الظنون ١ /١٥٢ .

(٤) انظر إيضاح المكنون ٢ /٥٩٠ .

(٥) انظر خلاصة الأثر ١ /٧٩ .

(٦) انظر المصدر السابق ١ /٧٩ .

(٧) انظر المصدر السابق ١ /٧٩ .

(٨) انظر المصدر السابق ١ /٧٩ .

(٩) انظر كشف الظنون ٢ /١٧٩٨ .

(١٠) انظر المصدر السابق ٢ /١٧٩٨ .

بعد ذلك تتابع المحشون فجاء الدنوشري المتوفى سنة (١٠٢٥ هـ) ، فياسين الحمصي المتوفى سنة (١٠٦١ هـ) ، ثم الحفني المتوفى سنة (١١٧٨ هـ) ، فالسجاعي المتوفى سنة (١١٩٧ هـ) ، فالكفراوي المتوفى سنة (١٢٠٢ هـ) ، فالصبان المتوفى سنة (١٢٠٦ هـ) ، فالدسوقي المتوفى سنة (١٢٣٠ هـ) ، فالأمير المتوفى سنة (١٢٣٢ هـ) ، فالعطار المتوفى سنة (١٢٥٠ هـ) ، فالخضري المتوفى سنة (١٢٨٧ هـ) ، وأكثر هؤلاء العلماء كانت لهم أيضاً تقريرات نحويّة على بعض الحواشي بسبب عملهم في التدريس ، ويعدّ الدنوشري خاصّة – مِن بين هؤلاء – أشهر من كتب التقريرات النحويّة .

أسباب ظهور المتون والشروح والحواشي والتقريرات :

نشأ هذا النظام التأليفي وتطور لأسباب وبواعث لا افتعال فيها ولا غلو ، فمن الأسباب التي دعت إلى وجود هذا اللون ، ثمّ إلى كثرته في عصري المماليك والعثمانيين :

١ – الرغبة الشديدة في التسهيل ؛ ليمكن تعلم القواعد وتيسير حفظها واستذكارها واستيعابها ، فوجود متن يتميّز بالاختصار والاقتصار على الأسس العامّة ، كان معيناً على حفظ أصول العلم وقواعده ، وتقريب الحقائق إلى أذهان المتعلمين في مراحلهم المختلفة ، ليسهل عليهم حفظها .

٢ – ضبط أصول العلم بدقّة وإحكام ، ويكون ذلك بجمع مادته ولمّ شعثها بعبارات موجزة جامعة دقيقة يستطيع الدارس استيعابها بأقصر طريق وأقل زمان .

٣ – شدّة حرص علماء هذه العصور على سرعة تلافي ما ضاع من الكتب ، ولا سيما بعد كارثة المشرق وإحراق المؤلفات في بغداد في فتنة « هولاكو » ، وبعد ما أصاب الأمّة من نكسات في الأندلس ، فرغبوا في جمع شتات هذه العلوم في صور مختلفة ، وحرصوا على جمع أكبر قدر ممكن من العلوم وحفظها من الضياع بعد النكبات السياسية والعسكريّة التي حلت بالمسلمين وأفقدتهم جلّ تراثهم .

٤ – الحرص على أن تحفظ المتون من العلم جوهره ولبابه ، وأن تقوم بدورها الفعّال في مسرح التعليم ، وقد حدث هذا في ذلك العصر وفي عصرنا الحاضر . أمّا الشروح فقد كانت

تطوراً طبيعيًّا يناسب عصر التوسع والتخصص ، ويقرّب للطلاب العلم ، ويسهل لهم تناول مسائله .

من هنا يمكن القول بأنّ هذه الألوان من التصانيف ظهرت ثمّ ازدهرت في العصور المتأخرة ؛ لأن هذه العصور جاءت بعد عصور سابقة عاش فيها الأئمة المحققون يؤلفون ويجتهدون ، فخلفوا تراثاً ضخماً متكاملاً . وحينما اطلع عليه المتأخرون ، أدركوا أن ليس لديهم زيادة علمية ، كما أنّ طلاب زمانهم يصعب عليهم استيعاب هذا التراث . يقول ابن خلدون : « واعلم أنّه مما أضر بالنّاس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته ، كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات في التعاليم وتعدد طرقها ، ثمّ مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك ، وحينئذٍ يسلم له منصب التحصيل ، فيحتاج المتعلم إلى حفظها كلها أو أكثرها ، ومراعاة طرقها ، ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة إذا تجرّد لها ، فيقع القصور ولا بدّ دون رتبة التحصيل »(١) . وقد أدّى هذا بالعلماء إلى الاتجاه إلى الاختصار ، ثمّ شرح وتوضيح ما بأيديهم من المختصرات ، بعد أن رأوا ساحة الاجتهاد قد ضاقت بهم ، ولم يعد لهم أي مكان يحتلّونه فيها .

هذه الأسباب التي ذكرناها هي الكامنة وراء ظهور المتون وبروزها في منظومة التأليف النحوي ، التي أدت إلى ظهور الشروح ، فصورتها المختصرة وعباراتها المضغوطة وبعدها عن استيفاء الشروط والجزئيات التي ترتبط بالقاعدة ، أو التي يتطلبها إتمام البحث ، حتّمت ظهور الشروح التي كان بعضها مستقلاً عن المتن ، كما في شرح ابن عقيل ، أو ممزوجاً به كما في شرح الأشموني ، ثمّ نشأت بعد هذا وذاك الحواشي والتقريرات بدافع تحسين نظام التعليم الذي كان أساسه تدريس الكتاب أو إقراءه ، فأخذ المدرس يعالج المباحث التي يتضمنها المتن والشرح ، ويحاول إزالة ما فيها من غموض أو قصور أو نقص ، فيكتب ما يعن له على حاشية الشرح ، ثمّ أخذ المعلِّقون يأتون بتعليقاتهم على الحواشي ، ويبدون ملاحظاتهم ، ويحاولون بها إتمام النقص ، وهو ما سمّي اصطلاحاً بالتقريرات .

---

(١) المقدمة لابن خلدون ص ٥٣١ .

المتون والشروح والحواشي والتقريرات في الميزان :

لهذا النظام التأليفي عند بعض الباحثين والنقاد من المتقدمين والمحدثين نقائص ، وفيه عيوب ، وعليه مآخذ ، منها :

١ – الإيجاز المخل ، وهو كما يرون من أكبر عيوب هذه السلسلة التأليفية ، ويظهر هذا بوضوح تام في المتون على وجه الخصوص ، فهي أقرب إلى المعميات ؛ لأنها تكدس المعاني وتختزل الألفاظ ، وتوجز في العبارات ، حتى تصبح ملتوية غامضة يصعب فكّها . أما الشروح والحواشي ومثلهما التقريرات ، فهي كذلك تهتم بالمظهر دون الجوهر ، وتتشاغل بالألفاظ بدلاً من الاشتغال بالمعاني ، لذلك أصبحت تعدّ في نظر هؤلاء قشوراً لا لباباً .

٢ – في المتون تشتيت للمتعلم بين تحصيل الحقائق وتذليل ما في المتن من صعاب ، وتجلية ما فيه من غموض وإتمام ما فيه من نقص . وقد يكون العناء الذي يبذل في ذلك مستنفذاً لزمن كان المتعلم في غنىً عن إضاعته لو استقى المعلومات بطريقة مباشرة من عبارات تامّة وافية واضحة . يقول ابن خلدون : « ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم ، يولعون بها ويدوّنون منها برنامجاً مختصراً في كلّ علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ ، وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن ... وهو فساد في التعليم ، وفيه إخلال بالتحصيل ؛ وذلك لأنّ فيه تخليطاً على المبتدئ بإلقاء الغايات من العلم عليه وهو لم يستعد لقبولها بعد ... ثمّ فيه شغل كبير على المتعلم بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم بتزاحم المعاني عليها ، وصعوبة استخراج المسائل من بينها ؛ لأنّ ألفاظ المختصرات تجدها لأجل ذلك صعبة عويصة ... فهم قصدوا إلى تسهيل الحفظ على المتعلمين ، فأركبوهم صعباً يقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة وتمكنها » (١) .

أمّا الشروح والحواشي والتقريرات ، فتردد الجمل المعادة المبتذلة والأمثلة المكررة ،

---

(١) المقدمة لابن خلدون ص ٥٣٢ ، ٥٣٣ .

وتكثر من حشد الآراء والمسائل بسبب أو بغير سبب ، وتكثر من الاستطراد ، ممّا يزيدها غموضاً وإمعاناً في التعقيد ، بدلاً من الإيضاح والتسهيل .

٣ – المتون دليل واضح على أنها إفراز عصر أجدبت فيه العقول ، وانعدم فيه الإبداع ، وكلّت القرائح عن الإتيان بجديد . أمّا الشراح والمحشّون والمقرّرون فهم مولعون بتحكيك ألفاظ النصوص ، وعاجزون عن تذوق مضمون أي نص ، ومؤلفاتهم تتسم بصعوبة الأسلوب ووعورة المضمون ، وتهويش المنهج . يقول البهاء السبكي عن هذه المصنفات جميعاً : « لا تنشرح ببعضها الصدور الضيقة ، ولا تنفتح عندها مغلقة ، ولا ينقدح فيها زناد الفكر عن مسألة محققة ، يتناولون المعنى الواحد بالطرق المختلفة ، ويتناولون المشكل والواضح على أسلوب واحد كلهم قد ألفه . لا يخالف المتقدم منهم المتأخر إلا بتغيير العبارة ، ولا يجد له على حل ما أشكل على غيره أو استشكال ما اتضح جسارة ، ولا يطمع أن يذوق ما في الاستدراك من اللذة ، بل يسري خلف من تقدمه في الكلمة الفذّة ، ويسير أثره حذو القذة بالقذة ... كلّ همه أن يوسع الدائرة بما لا يقام له وزن ... » (١) .

٤ – المتون لا يستفاد منها كثيراً في مجال التطبيقات النحويّة ؛ لأنّ ما فيها من قواعد لا يناسب قابليات الطلاب بصورة علمية ؛ لخلوها من التمارين التي تساعد على ترسيخ القواعد والتي تعين على التطبيق ؛ ولأنها تراوح – أحياناً – بين الزيادة في بعض الأبواب والنقص في أبواب أخرى ، فأساليبها ومحتوياتها ومناهج تصنيفها لا تتفق مع الحقائق التربوية الحديثة ، والمناهج التعليمية العصريّة . أمّا الشروح والحواشي والتقريرات ، فهي تكثر من التعرض لقضايا المنطق والكلام والتعليل الفلسفي ، وفيها من الحدود والقيود والاحترازات ما لا يتلاءم مع المستوى العقلي للطلاب المتلقين الذين صنفت في الأصل لهم .

٥ – هذه المنظومة التأليفية لم تستطع أنّ تضيف إلى مباحث النحو جديداً يجعله مزدهراً نامياً ، وإنما حوت قواعد متحجرة ، وأصبح همّ العلماء تلخيص هذه القواعد ، ثمّ

---

(١) عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح للبهاء السبكي ١ /٦ ، ٧ .

شرح التلخيص ، ثمّ التحشية على الشرح ، ثمّ التقرير على الحاشية ، لذلك فإنّ الناظر لا يرى إلا كلاماً معاداً مكرراً في هذه المنظومة لا ينمّي ذوقاً ولا يربّي ملكة .

هذه هي العيوب المنسوبة أو التي يمكن أن تنسب إلى هذه الظاهرة التأليفية في النحو وغيره من العلوم ، وهي الظاهرة التي ترسم صورة علميّة وثقافيّة واضحة لعصر المماليك وعصر العثمانيين ، وقد ركزت هذه العيوب على جعل هذين العصرين عصري تخلف وانحطاط ، وعلى أنّ هذا اللون من التصانيف دليل على ضعف الاهتمام العلمي عامة ، وعلى الجهل لدى حكام هذه العصور جميعاً مما انعكس على المؤلفين ، فجاءت تصانيفهم من أجل ذلك بصياغة توهم أنهم أتوا بجديد وواقع الأمر غير ذلك ، إذ كانت مؤلفاتهم قلما تسلم من غموض العبارة أو خطأ الفكرة ، أو مخالفة الاصطلاح السليم ، أو غلط الرواية المعزوّة ، وهي – في مجملها – كما يقول هؤلاء المنتقدون صرفت عن اللبّ إلى القشور ، كما أنها – في نهاية الأمر – سلبت من النحو بهجته ورواءه .

أمّا مصنفو هذه الكتب فقد قالوا فيهم أيضاً إنهم متصفون بغلبة العجمة عليهم ، وقلّة إلمام كثير منهم بالأساليب العربية القديمة مما جعل أقلامهم وأقلام من تشبّه بهم تتبارى وتتنافس في إقامة الصيغ الخفية ، وفي إقحام مصطلحات المنطق والألفاظ الفلسفية ، وفي التلاعب بالألفاظ والإيغال في الإيجاز ، والحرص على الرمز والإلغاز ، وفي الجنوح إلى الاستطراد أو الإيجاز بلا داعٍ ، حتى باتت مصنفاتهم ليست فقيرة في الأساليب الأدبية فحسب ، بل تقع فيها أيضاً أشياء من المخالفة للقواعد النحويّة أو الصرفيّة . .

وذهب المنتقدون كذلك إلى أنّ عيب الحواشي بخاصة يكمن في أنّ أكثرها انصرف انصرافاً كاملاً إلى الصيغ والألفاظ ، بدلاً من فقه العلم ، والغوص في أعماق المسائل ، وبهذا أصبحت هذه الحواشي مجالاً لتدريب قرائها على الجدل ، والأخذ بهم إلى طريق المناظرة ، وأصبحت في الوقت ذاته تعاني من التواء مناحي البحث في أساليب مؤلفيها مما حمل القرّاء على كدّ الفكر لفهم مغازيهم ومراميهم ، وجعلها ذات أثر في شحذ فكر الدارس وتوسيع مدارك عقله ، بدون أن يكون لها الأثر نفسه في ترقيق شعوره وإرهاف خياله وتنمية عواطفه .

هذه هي خلاصة ما انتقد به بعضهم هذا النمط التأليفي ، وما وسموه به في العصور التي كثر فيها وشاع . وبالنظر الموضوعي البعيد عن الحماس الذي اتسم به كلام مناهضي هذا اللون من التأليف ، يمكننا أن نقول في الدفاع عنه وفي بيان مزاياه ، مع الرد على ما سقناه ورويناه عنهم من العيوب والنقائص :

أولاً : إنّ الغموض الذي رأوه عيباً في هذا النظام من التصنيف ، ليس في رأيي عيباً حقيقيًّا ؛ ذلك أن البون شاسع بين من يحصّل العلم بيسر وسهولة ، وذلك الذي يحصله بكدّ وعناء ومشقة . إنّ هذا النظام في منهجه ومضمونه يرمي إلى غاية تعليمية متميزة ، كتميّز الأسلوب فيه ، يقول أحد الباحثين : « إنّ معالجة العبارات والنقاش في تأويل معناها ومبناها ، والدوران حولها لتفهمها بطرق مختلفة ، وتعرف نقصها وتذليل صعابها وتجلية غموضها ، كلّ هذا له فائدة في شحذ الفكر وتكوين ملكة الفهم ، والمران على حل المعضلات اللفظيّة وعلى الجدل العلمي » (١) . ثمّ إنّه لو سُلِّم بغموض عبارات هذه السلسلة التأليفية فإنّ ذلك لم يكن من الظواهر التي انفردت بها المتون وما بني عليها من مؤلفات وحدها حتى تعاب به دون غيرها ، فإنّ أمهات الكتب القديمة لا تخلو من ذلك ، وإلا لما كثرت الشروح على كتاب سيبويه وجمل الزجاجي مثلاً ، بل إنّ من العلماء السابقين من كان يسعى إلى الغموض والتعمية في تأليفه ، ومع ذلك ظلت له ولكتبه مكانة عليا عند الدارسين ، ولم يُعَبْ عليه ذلك في زمانه ولا بعد زمانه . جاء في بعض الروايات أنّ الجاحظ اعترض على أبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط قائلاً : « أنت أعلم النّاس بالنحو فَلِم لا تجعل كتبك مفهومة كلها ؟ ، وما لنا نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها ؟ ، وما بالك تقدّم بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم ؟ . فقال : أنا رجل لم أضع كتبي هذه لله ، وليست هي من كتب الدين ، ولو وضعتها هذا الموضع الذي تدعوني إليه ، قلّت حاجتهم إليّ فيها ، وإنما غايتي المناولة ، فأنا أضع بعضها هذا الوضع لتدعوهم حلاوة ما فهموا إلى التماس فهم ما لم يفهموا ، وإنما قد كسبت في هذا التدبير إذ كنت إلى التكسب ذهبت » (٢) .

---

(١) القواعد النحويّة مادتها وطريقتها لعبد الحميد حسن ص ٢٧٥ .

(٢) الحيوان للجاحظ ١ / ٩١ .

إنني أرى أنّ ما ذهب إليه المنتقدون لهذا النوع من التصنيف وزعموه غموضاً وتعقيداً ليس في حقيقة الأمر سوى عمق لم يستطيعوا فهمه أصلاً ، أو لم يتمكنوا من فهمه على الوجه الصحيح في أحسن الأحوال . ولنا في قدامى العلماء الذين صبروا على ما في المتون من غموض ، وعمدوا إلى إزالته ، أو إيضاح أو إكمال ما فيها من نقص – بدون أن يلجئوا إلى القدح – أسوة حسنة .

أمّا الإيجاز فإنّه لا يعدّ عيباً إذا كان القصد منه تسهيل الحفظ وسرعة استحضار المعلومات ، إنّه في حقيقة الأمر « طور طبيعيّ في تاريخ التأليف ، إذ لا بد من أن يعقب طور التوسع طور يقرّب لطلاب العلم وناشئته تناول مسائل العلم ،ويعاونهم على بلوغ إربتهم من العلم في وجازة وعجلة ، وبخاصة صغار المثقفين ، ويجمع لهم حقائق العلم في متون يسهل حفظها ، فاستحضارها وقت الدرس لتكون موضع المناقشة والشرح ... » [١] .

ثانياً : أمّا ما زُعم من تشتيت المتون ذهن المتعلم بين التحصيل وتذليل الصعاب ، وما عيب من حشد الآراء وتكدس المسائل في الشروح والحواشي ، فقد كفانا الشيخ محمد عرفة مهمة الرد على ذلك ، فهو يرى أنّ العالم إنما « يمتاز بفهم الغامض وإدراك البعيد وحل المستغلق ، وذلك لا يكون إلا بتعويد المرء على شيء من الصعاب ؛ ليمرن عقله على حل ما يماثلها ، وكما أنّ الرجل الرياضي لا يكون قويًّا على حمل الأثقال إلا بالتعوّد على حمل أحمال ثقيلة متدرجاً في ذلك ، كذلك لا يكون عقله قادراً على حلّ الصعاب إلا إذا عوّد عقله على حل مسائل عويصة متدرجاً في ذلك » [٢] .

ثالثاً : إنّ القول بأنّ العصر الذي كثر فيه هذا النمط التأليفي هو عصر انحطاط انشغل فيه العلماء بأمور الدنيا ، وجهل فيه الحكام قيمة العلم ، هو قول يدفعه الواقع التاريخي ، وزعم يدحضه ما هو معروف مشاهد ، فكتب التراجم حكت لنا ما كان للعلوم كلّها في عصر المماليك على وجه الخصوص من ازدهار وانتشار ، وما كان للعلماء فيه من منزلة رفيعة ،

---

(١) عصر سلاطين المماليك لمحمد رزق سليم ٧/ ٢٥٩ – ٢٦٠ .

(٢) النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة لمحمد أحمد عرفة ص ٧٠ – ٧١ .

وما كان للحكّام آنذاك من اهتمام بالعلم والعلماء . والمطالع لفهارس المخطوطات يجد الكثير الكثير مما ينطق بما حفل به عصر المماليك خاصة من ألوان المعارف والفنون ، مما يتعذر معه رمي عصرهم وعصر العثمانيين الذي تلاهم بالتخلف والجمود والضحالة . وإنّي لذلك لا أرى صحيحاً ما ذهب إليه سعيد الأفغاني من انتقاد لأسلوب هذه المنظومة التأليفية عامة وللمتون منها خاصة حين قال إنّه : « أسلوب جروا عليه في العصور التي جمدت فيها الملكات ، على ما فيه – أي المتن – من عناء على الماتن والطالب معاً » [١] . إنّ هذين العصرين اللذين يصفهما الأفغاني بالجمود هما اللذان أخرجا ابن الحاجب وابن مالك وابن هشام والسيوطي وغيرهم من أشهر النحويين الذين لا يستطيع أحدٌ من المنصفين أن ينكر فضلهم العميم فضلاً عن أثرهم العظيم في الدرس النحوي .

رابعاً : إنّ القول بأنّ منهج التصنيف وأسلوبه ومضمونه في كتب هذه المنظومة التأليفية لا ينطبق مع الوسائل التربوية الحديثة غير دقيق ؛ لأنها – فيما أرى – تمتاز في هذه الأمور على غيرها من الكتب التي صنفت في العصر الحديث ، فهي ترمي فيها جميعاً إلى غاية تعليميّة مميزة ، وإنّ الناظر المنصف في ذلك النظام التأليفي يلمس بوضوح تميّزه التربوي في « معالجة العبارات والنقاش في تأويل معناها ومبناها والدوران حولها ، لتفهمها بطرق مختلفة وتعرّف نقصها ، وتذليل صعابها ، وتجلية غموضها . وكلّ هذا له فائدة في شحذ الفكر وتكوين ملكة الفهم والمران على حلّ المعضلات اللفظيّة وعلى الجدل العلمي » [٢] . كما أنّ هذا النمط التأليفي يحقق غرضاً تربويًّا يتمثل في التدرج في التحصيل العلمي ، فالمبتدئ يقنع بدراسة المتن ، وبتفهم ما تضمنه من حقائق موجزة ، ثم ينتقل إلى الشرح ، وهو أوسع وأوفى ، ثمّ يرتقي إلى الحاشية ، ثمّ إلى التقريرات ليستوفي ما فيهما من تمحيص وزيادات ليست في الشرح . إلى جانب هذا كان حفظ المتن عن ظهر قلب عوناً على الإلمام بالحقائق العلميّة وحفظها ، وسرعة استحضارها والإجابة بسرعة عن دقائقها . ولقد تحققت

---

(١) من تاريخ النحو لسعيد الأفغاني ص ١٨ .

(٢) القواعد النحويّة مادتها وطريقتها لعبد الحميد حسن ص ٢٧٥ .

هذه المزايا « يوم كان المتعلمون فارغين لها ، منقطعين لحفظها ودرسها وفكّ طلاسمها بملازمة أساتذتهم وعلمائهم ، والرجوع إليهم وإلى الشروح والتقارير يوم كانت الحياة هادئة ، ومطالب العيش محدودة ، والقناعة غالبة وسن الطلاب كبيرة ، وتقربهم إلى الله بإتقان هذه العلوم واحتمال متاعبها قويًّا . أما اليوم فلا شيء من ذلك كله ، فالحاجة إلى النحو ليست في المرتبة الأولى لكثير من النّاس وطلاب الدراسات العالية ... وإنما هي حاجة المستكمل الذي تدفعه روح العصر إلى التجمل بألوان من الثقافة العامة لا يليق بالمتحضر أن يجهلها ، ولا أن يجرد نفسه من قدر منها ، فهو في تعلمها غير أصيل ، وحفظه منها يسير » (١) . ومهما يكن من أمر فإنّ هذا اللون من التصنيف يربي – فيما أرى – فضيلة البحث والتمحيص ، وينمي حلية الصبر ، ويقوّي الاعتماد على الذات ، ويعوّد الطالب على دقّة الملاحظة .

خامساً : إنّ الزعم بأنّ هذه المؤلفات لم تضف جديداً ، وإنما هي قواعد متحجرة كان همُّ العلماء شرحها فحسب هو زعم لا يقرّه الواقع ؛ ذلك أنّ تعدد المتون وتنوع الشروح والحواشي والتقريرات قد كوّن – في حقيقة الأمر – ثروة علمية عظيمة خلدت مع الزمان ، وحفلت بالمعارف المفيدة والآراء السديدة والنظرات المبتكرة ، إضافة إلى ميزة أخرى هي أن هذه المنظومة التأليفية حفظت نصوصاً من أصول ومصادر ضاعت من يد الزمن ، ولم تصلنا غير أسمائها . وليت شعري كيف تكون كافية ابن الحاجب وألفية ابن مالك وشروحهما قواعد متحجرة ؟!! .

على أنّ الإعجاب بما ورثناه من جمهرة متناسقة من هذه الكتب على هذا النمط التأليفي ، لا يمنعنا من أن نقرّ بأنّ القليل منها لم يكن على المستوى المرغوب ، ولكن وجود ما يقلّ عن المستوى ليس بدعة أو غريباً ؛ لأنّ شأن التأليف والمؤلفين في كلّ زمان ومكان أن يكون فيهم الجيّد وغيره ، وأن تتفاوت مصنفاتهم في الجودة وعدمها . كما أنه لا يمنعنا من أن نسجّل بوضوح ما نعدّه من أبرز معالم الضعف في هذه المصنفات ، وهو ضخامة بعض الشروح وكثرة ما فيها من نقول ناقصة أحياناً ، ومضطربة أحياناً أخرى ، كما أنّ بعضها كان

(١) اللغة والنحو بين القديم والحديث لعباس حسن ص ٢١٤ – ٢١٥ .

محشواً بمصطلحات الفنون المختلفة ، وكان بعضها الآخر مفرطاً في الاستطراد بمناسبة وبغير مناسبة .

وخلاصة القول عندي أنّ جمهرة المتون والشروح والحواشي والتقريرات ، وكذلك المنظومات والنكت وشروح الشواهد ، قد انتظمت في إطار عام متنوع ، وهو الإطار الذي لا يمكن معه أن ترمى بأنها جميعاً صور متقاربة ليس بين أكثرها مقدار واسع من التفاوت في الموضوع والمنهج والأسلوب أو في طريقة عرض المعلومات وحجمها .

هذا مع الإقرار بأنّ بعضها لم يكد يخرج عن غيره أو يزيد عليه أو يبتعد عنه ، مما لا يجعل لشيء من هذه المصنفات القليلة مزية علميّة ترفعه على ما سبقه أو عاصره أو لحقه من المصنفات المشابهة .

ومهما يكن من شيء فإنّ الذي ينبغي ألاّ يغيب عن ذهن القارئ الكريم في كلّ الأحوال ، هو أن هذا الأسلوب التأليفي يشكل جزءاً كبيراً من تراثنا الخالد الذي لا يستغني عنه الدارس مهما علا كعبه في العلوم والمعارف .

المصادر والمراجع

١ – اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري لمحمد مصطفى هداره ، دار المعارف بالقاهرة (١٩٦٣ م) .

٢ – الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ، تحقيق طه سعد ، القاهرة (١٩٧٥ م) .

٣ – الأعلام للزركلي ، بيروت ، ط ٣ (١٩٦٩ م) .

٤ – إنباه الرواة في أنباه النحاة للقفطي ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار الكتب المصرية (١٩٥٢ م) .

٥ – إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون لإسماعيل باشا البغدادي ، إستانبول (١٩٤٥ م) .

٦ – بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر (١٩٦٤ م) .

٧ – تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ، دار الهلال بالقاهرة (١٩١٤ م) .

٨ – التطور والتجديد في الشعر الأموي لشوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٧ ، بدون تاريخ .

٩ – جذوة الاقتباس فيمن حلّ من الأعلام في مدينة فاس لابن القاضي ، طبع بفاس على الحجر (١٣٠٩ هـ) .

١٠ – حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر (١٩٦٧ م) .

١١ – الحيوان للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مصطفى البابي الحلبي بمصر ، ط ٢ (١٩٦٥ م) .

١٢ – خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبّي ، المطبعة الوهبية بمصر (١٢٨٤ هـ) .

١٣ – الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ، دار الجيل ببيروت ، بدون تاريخ .

١٤ – شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ، دار الآفاق الجديدة ببيروت ، بدون تاريخ .

١٥ – طبقات الشافعية الكبرى لتقي الدين السبكي ، تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو ، القاهرة (١٩٦٤ م) .

١٦ – عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي ، ضمن شروح التلخيص ، مصر ، ط ٢ (١٣٤٢ هـ) .

١٧ – عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي لمحمد رزق سليم ، المطبعة النموذجية بالقاهرة ط ٢ (١٩٦٢) .

١٨ – في أدب مصر الفاطمية لمحمد كامل حسين ، دار الفكر العربي ، القاهرة (١٩٥٠ م) .

١٩ – القواعد النحوية مادتها وطريقتها لعبد الحميد حسن ، مكتبة الأنجلو المصرية (١٩٥٢ م) .

٢٠ – كشف الظنون لحاجي خليفة ، مكتبة المتنبي ببيروت ، بدون تاريخ .

٢١ – الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة لنجم الدين الغزي ، تحقيق جبرائيل جبّور ، بيروت (١٩٤٥ م) .

٢٢ – اللغة والنحو بين القديم والحديث لعباس حسن ، دار المعارف بمصر (١٩٦٦ م) .

٢٣ – مقالات منتخبة لعبد الكريم الأسعد ، الرياض ، دار المعراج الدوليّة (١٤١٥ هـ) .

٢٤ – المقدمة لابن خلدون ، دار الشعب بالقاهرة ، بدون تاريخ .

٢٥ – مقدمة في النحو لخلف الأحمر ، تحقيق عز الدين التنوخي ، مديرية إحياء التراث القديم ، دمشق (١٩٦١ م) .

٢٦ – من تاريخ النحو لسعيد الأفغاني ، دار الفكر ببيروت ، بدون تاريخ .

٢٧ – النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة لمحمد أحمد عرفة ، مطبعة السعادة ، القاهرة (١٣٥٦ هـ – ١٩٣٧ م) .

٢٨ – الوسيط في تاريخ النحو لعبد الكريم الأسعد ، الرياض ، دار الشواف للنشر والتوزيع ، (١٤١٣ هـ) .

